الأدب الرقمي

من النص إلى الوسيط

أ. زكية مهنى
جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية (الجزائر)

Abstract :

Nowadays, there is a new phrase appearing in language research. It is the concept of "Digital Culture". This recognizes the researchers' fondness in the production and manipulation of information by computer and computer networks. The computer influenced every work and activity; researches and studies are all influenced by numerical techniques and technology which succeeded in imposing itself in all literary spaces and languages. Actually, other concepts have been imposed by technology "Digital Culture and Writing", for instance, is used in the production of prose and poetry.

Keywords: technology, literary, numerical techniques, Digital Culture,

Resume:

Actuellement, la majorité des chercheurs sont confrontés à un problème majeur, en l'occurrence, leur dépendance à la machine et à la technologie dans la transmission du savoir scientifique. En effet, son influence demeure importante dans la vie scientifique et professionnelle ; en d'autres termes, toutes les activités, les recherches et les études s'inspirent des techniques technologiques pour se développer et se perfectionner ce qui est considéré comme étant nouveau et original connu sous le nom de « culture numérique », en effet, cette dernière a conquis tous les espaces littéraires et langagiers, de nouveaux concepts imposés par l'ère technologique comme la littérature numérique qu'on utilise dans la composition de textes en vers ou en prose.

Mots clé : la machine, la technologie, littérature, culture numérique, la littérature numérique

الملخص:

للتكنولوجيا الحديثة تأثير واضح وكبير على الباحثين اليوم، سواء من خلال الحياة العلمية أم العملية، إذ تتخذ جلّ الأنشطة والبحوث والدراسات من التقنيات التكنولوجية منطلقاً لها للتطور، الذي أصبحت بموجبه ثقافة جديدة في هذا العصر، وهو ما عرف بـ: **الثقافة الرقمية**، حيث دخلت إلى منظومتنا الأدبية واللغوية مصطلحات جديدة فرضها عصر التكنولوجيا لاسيما **الأدب الرقمي** الذي يعد إنتاج النص الأدبي عبر توظيف تقنية الآلة، أي الوسائط التكنولوجية التي مست الشعر والنثر على السواء، ولتوضيح كل هذا يأتي مقالنا لمقاربة مفهوم الأدب الرقمي وآلياته.

الكلمات المفتاحية : الآلة والتكنولوجيا – الأدب – الثقافة الرقمية – الوسيط الرقمي – الأدب الرقمي.

تواجه الدراسات العالمية والمحلية العديد من **التحديات** التي أثمرت عينة من المتغيرات، سواء تعلق الأمر بالطابع الشكلي، أم بالطابع المضموني للدراسة وموضوعها؛ حيث سمحت هذه المتغيرات بظهور **مفاهيم جديدة** في مجال **إبداع الأدب**، الذي يسعى إلى تحقيق هدف البقاء والاستمرار في عالم التطور التكنولوجي والوسائط الآلية وبالتالي مواكبة العصر واحترام أولوياته.

إذ نعيش اليوم في عصر **العولمة (القرية الصغيرة)** والذي يدفعنا كرهاً وطواعيةً لمعرفة وإدراك أسرار وتقنيات ومضامين هذا التطور التكنولوجي الهائل، فقد لا نبتعد كثيراً إن اتخذنا من **الإنترنت** دليلاً جازماً على حقيقة هذا التطور العلمي العالمي بوصفها الأداة التي جعلت من العالم قرية كونية صغيرة (**الشبكة العنكبوتية العالمية**) كما هو معروف، فقد شهد العالم تحولات جذرية مست مختلف الميادين؛ اجتماعية اقتصادية، سياسية، وثقافية....عبر ما عُرف **بالثورة الصناعية**، التي دفعت بالدول اتخاذ طريقها نحو **التطور والتكنولوجيا**، حيث تمكّنت الثورة الصناعية من تغطية معظم دول العالم؛ غير أن ذلك كان بنسب متفاوتة، فإن خصصنا الحديث عن دول العالم العربي سنجد تأخرا كبيرا مقارنة بالعالم الغربي المتقدم، لكن ثمة محاولات جدِّية لمواكبة **العصر التقني**، والسير نحو التقدم التكنولوجي.

وبناءاً على هذا تتبلور إشكالية الدراسة من خلال طرح التساؤل التالي: **إلى أيِّ مدى يمكن أن تساهم تقنيات العصر التكنولوجي في تحسين وتطوير وتفعيل الأدب العربي؟ وما دور تقنية الآلة في بروز الوافد الجديد على الساحة الأدبية العربية؛ الأدب الرقمي؟ وما مفهوم الأدب الرقمي؟**

نهدف من خلال هذا المقال إلى إبراز أثر ودور استخدام تقنية الآلة مع الأدب، بالإضافة إلى ضرورة التعرف على أهم العراقيل التي تحول دون الاستخدام الأمثل لهذه التقنية المعاصرة، علما أن معظم الباحثين العرب اعتبروا **رواية شات** للروائي الأردني **محمد سناجلة** أول رواية رقمية عربية، فرواية شات عمل إبداعي أدبي ذات أهمية في الساحة الأدبية العربية، ولها أسبقية في الظهور بالعالم العربي، لهذا النمط الجديد والغريب- كما اعتبره البعض- في الكتابة الروائية؛ الموسومة **برواية الواقعية الرقمية** والتي تنبثق من **الأدب الرقمي** المعروف لدى الغرب.

يقتضي هذا المقال توضيح بعض المصطلحات الجديدة والمبهمة والمتداخلة فيما بينها والتي نراها ذات أهمية لهذا الطرح بداية من الأدب والنص الرقمي وكل من مصطلح التفاعل والتواصل، المتعلقة بهذا النتاج الجديد الذي لا يزال الاصطلاح فيه محك جدل بين الباحثين والنقاد، إذ نشهد اليوم في القرن الواحد والعشرين؛ عصراً جديداً هو عصر الإنترنت والسرعة الفائقة؛ عصر التقنية المعلوماتية، عصر التكنولوجيا الرقمية؛ حيث تعد **لغة الأرقام** أسلوباً جديداً للتواصل، فهي لغة فصيحة يفهمها كلّ البشر على اختلاف لغاتهم أفضل من **لغة الكلام**؛ لأنّها فرضت نفسها وصارت لغة عالمية، فالأدب **الرقمي** مصطلح جديد دخل المنظومة الأدبية يتكون أساساً من شقين: **أدب** سواء شعراً أم نثراً و**رقمي** من التقنية الرقمية، فمن الضروري أن نعرج على مفهوم **الأدب** قبل أن نلحق له صفة **الرقمية**، فله سبق الظهور في الساحة الأدبية للعالم العربي.

يعني **الأدب** من حيث الأصل اللغوي "ملكة تعصم من كانت فيه عمَّا يشينه. الظَرْف ج آداب. و«علمُ الأدب» هو علم يُحترز به من الخَلَل في كلام العرب لفظاً وكتابةً. والأدب بالمعنى الحصريّ: مجمل مولَّدات الفكر البشري المعبّر عنها بالأسلوب الفني الجميل. و[الآداب] تطلق على العلوم والمعارف عموما"[1] كما يحمل معنى آخر حيث أن " الأَدَبُ: الذي يتأَدَّبُ به الأديبُ من الناس، سُمِّيَ أدباً لأَنَّه يأْدِبُ الناسَ إِلى المحامدِ، وينهاهم عن المقابح، وأَصل الأَدْبِ الدُّعاءُ، ومنه قيل للصَّنِيع يُدعى إِليه الناس: مَدْعاةٌ ومَأْدُبَةٌ " [2] وجاء أيضاً معنى الأدب في معجم الوسيط على أن" (الأدبُ): رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي. و- جملة ما ينبغي لذى الصِّناعة أو الفن أن يتمسك به، كأدب القاضي، كأدب الكاتب. و-الجميل من النَّظم والنَّثر.و- كل ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة " [3]

وعليه فإن هذه المعاجم تجمع على كون **معنى** الأدب يحمل صفة **الأخلاق الحميدة**، كما أنه العلم الذي **يقتضي فرز** وتصحيح أيّ **لحن** قد يرد في **الكلام لفظاً ومعناً**، لأن **الأدب أسلوب فني جميل**، الذي لا يتحقق إلا إن كان الأسلوب سليم من اللبس.

يصطلح على **الأدب** أنّه " تفسير الحياة واستخراج معانيها. ومن الواضح أن استخراج معاني الحياة والتعبير عنها إنما يرجعان إلى ما للإنسان من قوة عاطفة، لأن الحياة بمعناها الواسع لا تسيطر عليها الحقائق الخارجية ولا الظروف الخارجية ولا التفكير العقلي بقدر ما تسيطر عليها العواطف، والعواطف هي التي تحركنا إلى العمل وهي التي توجه الإرادة وهي التي تحدِّد مجرى الحياة" [4]، لأن الكلام الجميل والبليغ، الصادر عن عاطفة صادقة - بالمفهوم التقليدي - يبين لنا الهدف من الكتابة عن الأفكار المتعددة، المكتسية ثوب الخيال الواسع، والتي تُفعل القارئ تجاهها وتؤثر فيه.

يتميز **الأدب** بالذاتية في النظرة إلى الطبيعة، الوجود، الإنسان والحياة، فهو نوعان : **شعر** و**نثر**، فأما **الشعر** فهو الكلام الموزون المقفى، وقد عرّفه **ابن خلدون** على أنّه " الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والرويّ، المستقل كل بيت منه بغرضه ومقصده عما قبله" [5] ولم يذكر ابن خلدون أن الشعر يرتكز أساسا على الخيال العاطفي، ونجد للأدب أغراض عدة؛ كالرثاء، الهجاء، الفخر، المديح، الوصف، والغزل.. في حين يعد **النثر** كلام غير مقيَّد بوزن ولا بقافية لأنهما من خصوصيات الشعر؛ فهو الكلام الذي صيغ بفنية جميلة ليكتسب مرتبة أسمى من الكلام العادي، والذي يهدف أساساً إلى التواصل، إذ نجد به فنون عدة : كالخطابة، الرسالة، القصة، الرواية، المقالة، المسرحية...

يعد **الأدب** –شعراً ونثراً - **الإرث الحضاري والتراث الأدبي البلاغي للعرب**، خاصة في عصر البلاغة والشعر، فبمجيء عصر العلوم في القرن العشرين، تسارع العلماء باختلاف تخصصاتهم نحو البحث العلمي؛ لاستقاء أسرار هذا الكون اللامتناهية، والارتقاء بمكتشفاتهم العلمية والأدبية، فقد كان للأدب نصيب وافر في ذلك؛ وهو ما يُعرف **بعلوم الأدب** التي انكب عليها العالم بالبحث والدراسة والتي تشمل: اللغة، الصرف، النحو، العروض والخط والمحاضرات، فتمثل الآداب حديثاً كل من التاريخ والجغرافيا، والفلسفة...

إذن الأدب **اصطلاحاً** هو **تفسير الحياة واستخراج معانيها**، إذ يضم كل من **الشعر والنثر**، ويتميز بالنظرة **الذاتية** تجاه الكون وكل ما يشوبه، **والأدب إرث حضاري وبطاقة هوية للعرب، وعليه** " إن الأدب فعّالية إبداعية **ذات كيفية خاصة ومتعالية**، لإعادة إنتاج الوجود البشري بصورة جذرية وشاملة " [6]، فهو من أرقى الفنون التي عرفها العالم؛ لأنه يعبر عن الإنسان في إنسانيته.

في حين فإن لفظة أو كلمة "**رقمي**" ليست بالجديدة على المعجم والقاموس العربي، فالرقم من أصل " [رَقَم- رَقْما ورقَّم] كتب. –الكتابَ: بيَّنه وأعجمهُ بوضع النقط والحركات وغير ذلك...[الرَقْم] مص. ضربٌ مُخطط من الوشي أو البرود.الختم ج أرقام ورُقُوم. «الأرقام الهندية»: هي علامات الأعداد المعروفة١و٢و٣الخ" [7] ويذكر معجم الوسيط ذات المعنى بالتفصيل " (الرَّقْمُ) الخطُّ الغليظُ...و- (في الرسم والتصوير): إصبع كأَصابع الطباشير مصنوعة من أَصباغ ترابية أو شمعية لتلوين المصوِّرات والرسوم على الورق الخشن (مج): ج مَراقمُ" [8] ، فالرقم هو الختم والخط وإنه علامة نشير بها إلى أعداد معينة، كما يدل على الإصبع.

إذن **الرقم خط بالإصبع وعلامة لمقدار عدد ما**، مع العلم أن العدد مكوَّن من مجموع أرقام.

بالعودة إلى **المصطلح الأصل** نجد أنه ورد في القاموس الانجليزي AN ENGLISH-READER'S DICTIONARY معنى كل من مصطلحي **Digital** و **Numerical** فأما الأول فهو كل عدد مركب من الرقم 0 إلى 9، كما له معنى الإصبع.

"**digit n.** any one of the numbers 0 to 9 ; finger or toe ".[9]

وأما الثاني فيعني: رمز وعلامة دالة عن العدد، والتواصل بالعدد.

"**numeral** n. word or sign standing for a number. **numerical** adj. of, in, connected with, numbers. **numerous** adj. very many; great in number "[10]

وعليه فكلا المصطلحين (**Digital** و **Numerical**) **في القاموس الانجليزي** يحمل معنى مشترك، يتعلق مباشرة بالعدد (number) المكون من الأرقام المعروفة (0،1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9) وتوظيفه.

كما نجد أن: Digital تعني في القاموس الفرنسي 'لاروس' مايلي:

"**Digital, e, aux** adj. (de l'angl. digit, nombre, du lat. digitus, doigt).En informatique numérique".[11]

وأيضاً "**الـديجيتال**" "**Digital, e, aux** adj relatif aux doigts"[12] يرجع إلى الفعل المرتبط مباشرة بتوظيف الأصابع، - كما ورد ذلك في المعجم الوسيط والقاموس الانجليزي المشار إليهما أعلاه-

بينما نجد مصطلح numérique تعني في القاموس الفرنسي لاروس ما يلي:

"**Numérique** adj.(du lat. numerus, nombre). 1. Qui est relatif aux nombres ; qui se fait avec les nombres : le calcul numérique. 2. Qui est évalué ou se traduit en nombre, en quantité : la supériorité numérique des adversaires. " [13]

يعود مصطلح Numérique في القاموس الفرنسي إلى: " العدد - nombre "، ويتمحور حول أعداد معينة، كما يُقيَّم من طرف الأعداد.

وعليه نجد في كلا التعريفين اتفاق في معنى المصطلح، فكل من **Digital وNumérique** لها دلالة **nombre** والذي يعني في اللغة العربية **عدد.**

والخلاصة هنا أن المعنى الأصلي لمصطلح "رقمي" **Digital وNumérique** هو العدد؛ التعبير العددي عن ظاهرة أو حالة معينة، " فالرقمي صفة لكل ما تستخدم فيه الأرقام لتمثيل الأعداد أو البيانات أو الرموز" [14] في الكشف عن محتوى أو مقدار معين.

طغى على ساحتنا الأدبية مصطلح النص الرقمي، وهو ترجمة للمصطلح الغربي **text / texte numérique Digital** باللغتين الفرنسية والانجليزية على الترتيب. لكن لو تصفحنا هذه الترجمة واستقصينا دلالاتها نجد أن **الرقمي** الذي جذره "**رقم**" يقابله في اللغة الفرنسية Le chiffre بينما في اللغة الانجليزية Number وDigital، ولكل مصطلح دلالة خاصة، هذا إن انطلقنا من المصطلح المترجم المعتمد (رقمي) من اللغة العربية إلى اللغتين الانجليزية والفرنسية على الترتيب، ولكن لو نتخذ الاتجاه المعاكس في الترجمة، والذي يبدو أقرب إليه من الصحة، وذلك بالرجوع إلى المصطلح الأصل **Digital وnumérique** باللغتين الانجليزية والفرنسية على الترتيب – المذكور أعلاه- ونعيد الترجمة إلى اللغة العربية، نجد كلا من المصطلحين **Digital وnumérique** يعني؛ عدد **nombre.**

مع العلم أن: الرقم لا يعني العدد لأن العدد أكبر وأشمل من الرقم، حيث من الأرقام التسعة مضاف إليها الصفر نكوّن أعداداً.

هذا يدفعنا مرة ثانية للعودة إلى القاموس والمعجم العربي لكشف ومعرفة معنى العدد، حيث: جاء في **لسان العرب** "العددُ: مقدار ما يعدُّ ومبلغه، والجمع أعداد، وكذلك العدّة، وقيل: العِدّة مصدر كالعدِّ، والعِدّة أيضا: الجماعة، قلّت أو كثرت؛ تقول: رأيت عدّة رجالٍ وعدّة نساءٍ، وأنفذت عدة كتبٍ، أيْ جماعة كتبٍ" [15] وفي المعجم الوسيط نجد " (عدَّ)الدراهم وغيرها-عدّا ، وتعداد، وعدَّة: حسبها وأحصاها " [16] **فالعدد** هنا عبارة عن مقدار معين لشيء تم إحصاءه، والحاصل من جراء هذه العملية الحسابية هو العدد.

هذا من جهة، لكن الملاحظ أن المصطلحين **Digital** و**Numérique** تم ترجمتهما على أساس أنه **رقمي** من الجذر "**رقم**" و الرقم في لسان العرب توضيح الشيء وبيانه – كما أسلفنا الذكر - " ***رقم* الرقم والترقيم**: تعجيمُ الكتاب. ورقم الكتاب يرقمه رقماً: أعجمهُ وبيَّنه. وكتاب مرقومٌ، أي بُيِّنت حروفه بعلاماتها من التنقيط." [17] ويدل الرقم في معجم الوسيط على " العلامةُ.... و(في علم الحساب): هو الرمز المستعمل للتعبير عن أحد الأعداد البسيطة" [18]

الملاحظ من خلال التعريفات والمعاني الواردة في القواميس والمعاجم السالفة الذكر اتفاق حول معنى مشترك هو أن كل من **Digital** و**Numérique** تعني كل ما له صلة بـ **nombre /numbre** وهذا الأخير له معنى العدد لا الرقم. فكان المفروض أن نسمي الأشياء بمسمياتها، حيث استخدم مصطلح الرقم للتعريف بالعدد، وهذا ليس منصفاً في حق البحث والترجمة. وإذا قلنا بهذا سنكون وجهاً لوجه أمام مصطلح جديد أقرب إلى المصطلح الأصل هو العددي بالتالي يكون لدينا **النص العددي والأدب العددي**. ولما لا؟ لنفتح مجال للبحث، ولندقق في مصطلحاتنا المترجمة أولاً، قبل الغوص في غمار الدراسات الجديدة، فالتحكم في المصطلح هو بداية لوعي وفهم كل ما هو جديد.

الأدب الرقمي: littérature numérique

عرف العالم آداباً عديدة منذ القدم وعند مختلف الأمم، حيث نجد الأدب الكلاسيكي والرومانسي والرمزي والواقعي لدى الغرب وذلك بحسب الاتجاهات والمذاهب المعروفة آنذاك، ونجد الأدب الجاهلي، والأموي، والعباسي، والأندلسي.. وصولاً إلى الأدب الحديث والمعاصر عند العرب، فإن تتبعنا تاريخ هذه الآداب نجد معظمها مرتبط بالظروف المحيطة والمذهب المُتَبَنَى والعصر الذي نشأت فيه، فتكون التسمية نسبة لذلك، ونحن حالياً في عصر التكنولوجيا، والتقنية الرقمية التي مسّت كلّ المجالات، بما فيها الأدب؛ فالتقاء الأدب بالتقنية الرقمية نتج عنه ما يُعرف **بالأدب الرقمي**، والذي اكتسى حلّة أدبية ثابتة فيه، وأخرى تقنية متغيرة تتحكم فيها تكنولوجيا العصر، بدورتها المتسارعة والمستمرة، نحو التقدم والتطور المتواصل.

يعتمد **النص الرقمي** أساساً في تشكيله على وسيط التكنولوجيا، الذي سمح بميلاد مفهوم جديد للنص ليصبح النص الرقمي" نسيجاً من العلامات التي لا تجعله يخضع لوضع قائم وثابت. وإنّما نصيِّته تتحقق من حيويته ولا اكتماله " [19] إذ يرتبط بمستويات، أو كما تحددها **زهور كرام** بوضعيات مادية؛ كشاشة الحاسوب ووضعيات ذهنية كاللغة، الصوت، الصورة، الألوان...**فالنص الرقمي** بهذا المفهوم جملة من العلامات المتغيرة والمتَّسِمة أساساً بالحركية الدائمة، التي توفرها التقنية الرقمية وتحديداً الحاسوب، وهذا يؤدي بالضرورة إلى التفاعل؛ فالدراسات الحديثة والمعاصرة ترتكز على **التفاعل** الذي يُحدثه العمل الأدبي الفني لدى المتلقي، إذ لا يكتمل هذا العمل دون هذا الشرط؛ لكون **التفاعل** دليل على فعل استقبال الرسالة والتواصل الفعلي في العملية التواصلية فكلمة **Interactif** تعني في القاموس الفرنسي المعروف "لاروس" الآتي:

"**Interactif, ive** adj. 1. Se dit de phénomènes qui réagissent les uns sur les autres. 2. Se dit d'un support de communication, d'un média favorisant un échange avec le public: participer à une émission interactive. 3. En informatique, doué d'interactivité : un logiciel interactif (SYN. Conversationnel)[20] "

إذن التفاعل أساس الفعل المتبادل بين الأفراد. وهو من أساسيات التواصل، كما أنّه ظاهرة استجابة بين أفراد الجماعة، فقد شهدت العلوم المعرفية تطوراً ضخماً نتيجة العمل الجاد في شتى حقولها، وقد واكب الأدب ذلك بما شهده من بحوث مستمرة، كان لها الدور الكبير في **التواصل** و**الاتصال**، وهذان المصطلحان يتفرعان من الأصل نفسه لكنهما يحملان دلالات متباينة بحسب المجال الذي وُضِعا فيه.

الاتصال عملية نقل وتبادل مزدوج للمعلومات والأفكار والآراء بين أفراد الجماعة، مع ضرورة تحقيق الفهم المشترك بينهم. فقد " لخص (لاسويل) عملية **الاتصال** بالعبارات التالية: من يقول؟ ماذا يقول؟ لمن يقول؟ لماذا يقول؟"

[21] فمن يقول: متعلقة بالمرسل أو الباعث للرسالة، وماذا يقول: يحتوي على مضمون الرسالة مع تحديد الفئة المستهدفة من خلالها كطلاب الجامعة، أو عمال قطاع الصحة... لمن يقول: تركز على الفئة المقصودة بكل تفاصيلها ميزاتها وخصوصياتها التي تميزها عن غيرها؛ كفئة الشباب لكن ذووا الحاجات الخاصة. لماذا يقول: بمعنى الهدف والغاية من هذه العملية **الاتصالية**. بهذا لخص "لاسويل" عملية **الاتصال** التي تتقارب كثيرا مع عملية التواصل، " ويتوقف فهم عملية الاتصال على فهم مادتها أي على فهم الرسالة من حيث محتواها وأهدافها وهي تتكون من فكرة أو أفكار،أو صورة" [22] وعليه فإن الأساس في العملية الاتصالية هي فهم الرسالة، لكن لتحقيق ذلك لبد من وضوح الرسالة أولاً، فلا يتم فهمٌ لشيء مبهم، وحتى إن اتضحت الرسالة، ففي هذه الحالة يفترض وجود قاسم مشترك بين المرسل والمرسل إليه، يجمعهما لتتم العملية الاتصالية بنجاح.

إذن " إذا كانت الرسالة تشكل العنصر أو الركن الأساسي من العملية الاتصالية فإن صوغها يشكل أهم شروط نجاحها ..والرسالة ليست نصاً مجرداً ولكنها أيضا موضوعاً وبقدر ما تملك الرسالة من عناصر الجدّة والأصالة بقدر ما تؤدي وظيفة ذات فعالية أفضل خلال العملية الاتصالية" [23] فطريقة صوغ الرسالة ذو أهمية بالغة لكونها حاملة لموضوع ونص مُشفر وإذا تمكن المرسل إليه من فك الشفرات تتحقق بذلك العملية الاتصالية.

أفرزت البحوث والدراسات اللسانية الحديثة سيما المتعلقة بأفكار الباحث اللساني **"دي سوسور"** نظرة متجددة حول اللغة، والعمل على معرفة مدى تأدية دورها ووظيفتها في التبليغ داخل النظام اللغوي، وتمثل هذه اللغة بنية أو نسقاً من العلامات ذات خصائص شكلية (صوتية- صرفية – تركيبية- معجمية) التي تؤدي وظيفة معينة داخل المجتمعات البشرية، فهي بنية وأداة في الوقت ذاته. وبما أن الوظيفة الأساسية للغة هي إتاحة التواصل بين مستعمليها، فقد ظهرت دراسات في مجال التواصل مع عالم الاتصالات الأمريكي **" كلود شانون"** 1948 سعياً للحصول على اتصالات جيدة، والمتعلقة أساساً بالاتصالات عن بعد - البرقية – حيث تم نشر أولى الأعمال المتعلقة بنظرية التواصل **" لشنون"** و **"ويفر"** وذلك بالولايات المتحدة الأمريكية، بعدما أُنجزت أبحاث حول أنساق التواصل التي سمحت بالكشف عن ميزات كل نسق من العلامات الموظفة.

استطاع عالم اللغة واللساني الروسي **رومان جاكبسون** تغيِّير مسار الدراسات اللسانية؛ حيث استطاع أن يهتم ويدرس أصغر مستويات اللغة – المستوى الصوتي- ويقوم بتحليله وفق مبادئ "سوسور"، من حيث مفهوم النظام والتقابل، فحدد "جاكبسون" أساس التواصل اللساني بأركانه الستة، ووظائفه الستة، ومفهوم الوظيفة المهيمنة، كما تطرق إلى تحديد عناصر التواصل اللساني الستة وهي: **المرسل: sender** الذي يعتبر الطرف الأساسي في عملية التواصل الذي يقوم بإرسال الرسالة واختيار المرجع وقناة الاتصال والرامزة، و**المرسل إليه: sent to** الطرف الآخر في عملية التواصل، وتحديدا المُستقبِل لمضمون الرسالة، ويتعين لنا من خلاله نجاح التواصل من عدمه، **فالرسالة: message** وهي مجموعة من المعلومات المقننة والمتفق عليها، والتي يرسلها المرسل إلى المرسل إليه عبر قناة تنقل الرامزة، والتي تحيل إلى مرجع عام ومشترك، ثم **المرجع:référence** أي البيئة التي يضمها الخطاب والذي يتحدث عن المرسل والمرسل إليه، و**قناة الاتصال:means of communication** وهي عبارة عن وسيلة مستعملة من طرف المرسل والمرسل إليه، الضوء على شاشة الحاسوب، هو تواصل بصري، وأخيرا **الرامزة: code** حامل لمحتوى ومضمون الرسالة.

إذن: المرسل منجز الكلام والمرسل إليه مستقبل الرسالة والخطاب الأدبي إذن هو خطاب لغوي تواصلي.

يعد مفهوم التواصل من المفاهيم الرئيسية المتداولة في العصر المعاصر، لما له من أهمية في مجال تبادل المعلومات وتقنيات تبليغها، وكذا اعتبارها نظرية علمية مستقلة بذاتها، وقد أكّد **"هابرماس"** على هذا حينما ركّز في أبحاثه على دراسة الأنا، بجعلها حصيلة تفاعل رمزي مع الغير، فقد تناول "هابرماس" مسألة التواصل من منظور

السوسيولوجي (علم الاجتماع) حينما رفض التصور الفلسفي الأرسطي لمفهوم الفعل الغائي (غاية) حيث تبنى الفعل التواصلي ضمن الجماعة، باعتباره فعلا اجتماعيا؛ (حوار يضم أطراف متعددة) لا فعلا ذاتيا (فاعل التواصل) يهدف إلى تحقيق التفاعل ثم التفاهم، فاستند "هابرماس" إلى ما قام به "أوستين" في نظريته الأفعال اللغوية، حين ربط اللغة والمعنى بالسياق، فدعّم نظريته في **الفعل التواصلي** بضمِّ آراء كل من أوستين وسورل إليها، لتتم العملية الحوارية دون ضغط، بالتالي تتحقق العملية التواصلية، كما استفاد "هابرماس" خاصة من الأفعال الكلامية في تعين وظائف للتداولية؛ المتمثلة في: اللغة، التعبير،العلاقات الذاتية بين المتحاورين.

يرتكز **الفعل التواصلي** على التفاهم بين الأفراد ضمن العملية التواصلية، وينبني التفاهم هذا على اللغة بالدرجة الأولى، فهي عامل مهم لفهم العلاقات التواصلية داخل المجتمع، **وعليه** فإن شروط الفعل التواصلي تكمن في البحث في كيفية التواصل والتفاهم مع الغير بالاتفاق معه، وعدم تأثير طرف على آخر، فالتفاهم لا يتم بالضغط والإكراه، وإلا فسيفقد الفعل التواصلي صفته في الحوار، **إن هدف "هابرماس"** هو الوصول إلى تواصل كامل عبر الاتفاق، غير أنّه تلقى معارضة شديدة من طرف الفيلسوف الفرنسي "**جون فرنسوا ليوطار**" في كون جوهر الإبداع والتطور في نظره، هو الاختلاف والنزاع، وليس الإجماع والاتفاق.

الهوامش:

1- فؤاد إفرام البستاني، منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت- لبنان، ط23، 1979، ص6.
2- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط3، 1999، ص 43.
3- شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص9.
4- أحمد أمين، النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط4، 1967، ص40.
5- نفسه، ص79.
6- علي المصري، في رحاب الفكر والأدب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص33.
7- فؤاد إفرام البستاني، منجد الطلاب، دار المشرق، ص258.
8- شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية، ص366-367.
9- AN ENGLISH-READER'S DICTIONARY, A. S HORNBY AND E. C. PARNWELL, oxford university press, London,1967,p119
10- Ibid: p281.
11- dictionnaire de langue française, LAROUSSE, paris, 2013, p414.
12- Ibid: p123.
13- Ibid: p951.
14- شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية، ص62.
15- ابن منظور، لسان العرب، ص2833.
16- شوقي ضيف ، مجمع اللغة العربية ، ص587.
17- ابن منظور، لسان العرب، ص1709.
18- شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية، ص366-367
19- الأدب الرقمي ، زهور كرام، ص50.
20- dictionnaire de langue française, LAROUSSE, paris, 2013, p743-744.
21- إسماعيل الملحم، التجربة الإبداعية، دراسة في سيكولوجية الاتصال والإبداع، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص11.
22- نفسه، ص11.
23- نفسه، ص13.